

# العالم النحوي

## ابن الحاجب الإسناجي

يقوموا بتدريس فقه السنة والجماعة في هذه المدارس ، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت القاهرة تموج بالعديد من التلامذة والمريدين من كل صوب وحذب حول هؤلاء العلماء والفقهاء يأخذون على أيديهم علومهم وثقافتهم ، ويقتفون أثرهم من بعدهم ، وكان من بين هؤلاء العلماء الإمام الشاطبي ، والغزنوي ، والبوصيري ، وأبو منصور الإيباري ، وعلم الدين السخاوي ، وكانت العلوم التي تدرس في ذلك الوقت هي : علم التفسير ، وعلوم اللغة والقراءات ، وعلم التاريخ .

في هذه البيئة الخصبة ثقافياً عاش ابن الحاجب طيلة حياته ، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم المتصلة به في سن مبكرة ، ثم اتجه للتحقق في الدين على مذهب الإمام مالك ، وقد جمع بين مذهب مالك ، في مصر ومذهب مالك في بلاد المغرب ، فكان بذلك أوجد عصر زمانه فيه . ثم لازم الإمام الشاطبي ، وسمع منه التفسير والشاطبية ، وتبحر ابن الحاجب في علم القراءات ، وهو علم يبحث في صور أداء كلام الله سبحانه وتعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواتر ، فالتقى بذلك بأبي الفضل الغزنوي ، وتقي الدين أبي الجود ، وأبي القاسم البوصيري ، ثم رحل بعد ذلك إلى دمشق فلازم فيها الإمام المحدث ابن عساكر ، وأخذ على يديه علومه ، وكان ابن الحاجب في تحصيله العلوم صحيح الذهن قوي الفهم حاد القريحة ، فبلغ في كل ما درس مبلغاً عظيماً ، حتى إن السيوطي وصفه في بغية الوعاء

■ كُردي الأصل من مدينة (دوين) بأرمينيا . كان والده يعمل حاجباً للأمير عز الدين بن موسك الصلاحي الذي اشترك - كما يقول ابن تغري بردي : في النجوم الزاهرة في حوادث ٥٧٢هـ - مع الملك العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأبي الهوجاء البكري ، لقمع فتنة مقدم السودان الذي اندفع في حماس لكي يعيد مجد الدولة الفاطمية . لكن الأدفوي في طالعه السعيد يقول : نقلاً عن الكنجي صاحب تاريخ القدس ، إن أباه لم يكن حاجباً ، وإنما كان يصحب بعض الأمراء ، فلما مات والده كان صاحب الترجمة صبياً فرباه حاجب الأمير فعرف به ■■

### بقلم : محمد عبده الحجاجي

#### مولده ونشأته

ولد العالم الفقيه ، والإمام النحوي ، جمال الدين أبو بكر ، المعروف بابن الحاجب في سنة ٥٧٠هـ ، ١١٧٥م على أرجح الأقاويل ، بمدينة إسنا من صعيد مصر التي تقع على الجانب الغربي للنيل ، وقد نسب إلى هذه المدينة سادات وفضلاء في كل علم وفن ، لكنه لم يؤثر أن ابن الحاجب قد عاش في هذه المدينة ، أو تتلمذ في مدارسها ، وذلك لأن والده لم يقم طويلاً بإسنا ، بل نزح منها إلى القاهرة ، وابن الحاجب لم يزل طفلاً بعد .

#### ثقافته وعلومه :

كانت القاهرة في ذلك الوقت وهو عصر سلاطين الأيوبيين مركزاً من مراكز

■ كان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل ، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير

الحياء .. منصفاً ، محباً للعلم وأهله ، ناشراً له ، محتملاً للأذى صبوراً على البلوى ■

[ أبو شامة المقدسي ]

بالمختصر الاصولي الذي عني به  
الأصوليون فجعلوه من أسس كتب  
الأصول .

بجانب ذلك كان له باع في نظم  
الشعر ، وقد حازت مؤلفاته إعجاب جميع  
علماء عصره وأثنوا عليه كثيراً وذكروا  
انه ركن من أركان الدين والعلم . ولقد  
رآه ابن خلكان وشاهد من علمه الغزير  
ما جعله يثني عليه ويقر له بالفضل ،  
وقال فيه العالم الفقيه ابن دقيق العيد :  
« إن هذا الرجل تيسرت له البلاغة فتفياً  
ظلمها الظليل ، وتفجرت ينباع الحكمة  
فكان خاطره بيطن المسيل ... وقام  
بوظيفة الإيجاز فناداه لسان الإنصاف  
ما على المحسنين من سبيل .

#### المصادر :

- (١) بغية الوعاة للسيوطي ص ٥٥ .
- (٢) حسن المحاضرة ، للسيوطي ج ١ ص ٣١٥ .
- (٣) الحركة الفكرية في مصر ، الدكتور  
عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .
- (٤) الحياة العقلية في عصر الصروب  
الصليبية ، الدكتور احمد احمد بدوي  
ص ٢٠٥ - ٢٠٩ .
- (٥) دائرة المعارف الإسلامية مادة  
ابن الحاجب .
- (٦) ذيل الروضتين للمقدسي ص ١٦٠ .
- (٧) طبقات القراء ، للذهبي ج ١ ص ٢٠١ .
- (٨) الطالع السعيد لادفوي ص ٤٢٠ .
- (٩) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٦  
ص ٣٦٠ .
- (١٠) وفيات الاعيان ، لابن خلكان ج ٣ -  
الترجمة ٤١٣ .

الديمياطي .

#### آثاره العلمية :

لقد برع ابن الحاجب في مختلف  
العلوم حتى أضحى علماً من اعلام  
عصره الذي عاش فيه ، إلا انه كان  
أعظم شهرة وأعظم صيتاً في علم النحو  
بصفة خاصة ، حيث كانت له آراء  
واتجاهات لم يسبقه إليها أحد قبله ،  
وجاء في دائرة المعارف الإسلامية انه  
اشتهر بالنحو على وجه الخصوص ، وهو  
في هذا الميدان يختلف عن أسلافه .  
ومن مؤلفاته التي لا يستغني عنها أي  
دارس أو باحث حتى عصرنا هذا :

الكافية : وهي فن موجز ، قام  
ابن الحاجب بشرحها عندما ترك  
دمشق ، وقدم إلى الكرك ، وقرأ عليه  
النحو أميرها الملك الناصر داود بن  
المعظم ، كما قام بنظمه له في أرجوزة  
سمها « الوافية » وشرحها ، وفي  
الصرف وضع الشافية وهي كذلك مثل  
الموجز قام هو على شرحه ، وقد عني  
العلماء بكتابي الكافية والشافية ،  
فشرحوهما شروحاً كثيرة . في علم  
العروض : نظم المقصد الجليل في علم  
الخليل ، وهو منظومة من بحر البسيط في  
العروض ، وفي علوم الفقه ، صنف جامع  
الأمهات ، وهو موجز في الفقه المالكي ،  
بالغ ابن دقيق العيد في مدحه ، كما بالغ  
غيره من العلماء في الثناء عليه ، وعني  
بشرحه كثير منهم ، وفي أصول الفقه ألف  
منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول  
والجدل ثم اختصره في كتاب عرف

بقوله : إنه كان من أذكى العالم ، ثم  
رجع بعد ذلك إلى القاهرة ، واشتغل فيها  
بالتدريس ولم يلبث أن رحل ثانية إلى  
دمشق في سنة ٦١٧هـ ، وتصدر  
للتدريس في الجامع الأموي في زاوية  
المالكية ، فالتف حوله الطلبة والمريدون ،  
يأخذون على يديه ، ولقد حدثت بينه وبين  
صاحب دمشق جفوة هو وسلطان العلماء  
عز الدين بن عبد السلام ، حيث أنكرا  
عليه سوء سيرته ، فأمرهما بأن يخرجوا

من بلده فخرج منها سنة ٦٢٨هـ ،  
ودخلا القاهرة ، وتصدر ابن الحاجب  
للتدريس في القاهرة بالمدرسة الفاضلية في  
موضع أستاذه الإمام الشاطبي ،  
فقصده الطلاب من كل صوب وحذب  
واستفادوا كثيراً على يديه في علم النحو  
والقراءات ، وفي أخريات أيامه تآقت  
نفسه للرحيل إلى الإسكندرية ، ولم يلبث  
أن توفي فيها ضحى يوم الخميس سنة  
عشر من شوال سنة ٦٤٦هـ - ١٢٤٧م ،  
ودفن فيها خارج باب البحر بترية الشيخ  
الصالح ، والمؤرخ المعروف بأبي شامة ،  
وقد رثاه أحمد بن المنير أحد تلاميذه  
بأبيات كتبها على قبره منها :

أيا أيها المختال في مترف العمر  
هلم إلى قبر الإمام أبي عمرو  
تر العلم والآداب والفضل والتقى  
ونيل المنى والعز غيبين في قبر  
فتدعو له الرحمن دعوة رحمة  
يكافأ بها في مثل منزله القفر  
وقد روى عنه كبار العلماء منهم :  
الحافظ المنذري ، ومنصور  
الاسكندراني ، وعبد المعز بن